تعلّم أُسُسَ النَّحوِ بجُملَتَينِ

مَنْهَجٌ يَبْدَأُ مِنَ النَّفْسِ لِيَصِلَ إِلَى الإِعْرَابِ فِي عَشْرِ صَفَحَاتٍ

رِسَالَةٌ مُوَلَّدَةٌ بِالذَّكَاءِ الاصْطِنَاعِيِّ وَبِتَوْجِيهِ بَشَرِيٍّ مِنْ:

حازِم خَنْفَر

تَمْهِيد

قِصَّةُ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ لَطِيفَةٌ فِي مَبْدَئِهَا وَمَآلِهَا؛ ذٰلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَلْتَمِسُ جُمْلَةً أَوْ جُمْلَتَيْنِ، أَجْمَعُ عَلَيْهِمَا أَبْوَابَ النَّحْوِ، أَبْتَغِي بِذٰلِكَ دَفْعَ التَّشْوِيشِ عَنِ النَّاشِئِ، وَلَمَّ شَتَاتِ تَصَوُّرِهِ عَلَى مَنْهَجٍ وَاحِدٍ، يَنْتَظِمُ فِيهِ الْبَابُ بَعْدَ الْبَابِ، وَيَقْرُبُ فِيهِ الْمَعْنَى قَبْلَ الِاصْطِلَاحِ. ثُمَّ اسْتَعَنْتُ فِي هٰذَا الْقَصْدِ بِالذَّكَاءِ الِاصْطِنَاعِيِّ، فَأَصَابَ الْوَجْهَ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أُوَجِّهُهُ فِي الْبِنَاءِ وَالتَّرْتِيبِ وَطَرِيقَةِ الشَّرْحِ، حَتَّى خَرَجَتْ هٰذِهِ الرِّسَالَةُ فِي صُورَةٍ بَهِيَّةٍ، مُحْكَمَةِ الْمَقَاصِدِ، بَعِيدَةٍ مِنَ التَّعْقِيدِ، قَرِيبَةٍ مِنْ أَفْهَامِ النَّاشِئَةِ.

وَلَسْتُ أَرَى أَنْ أَنْسِبَهَا إِلَى نَفْسِي نِسْبَةَ مَنْ صَنَعَ أَلْفَاظَهَا وَسَبَكَ مَبَانِيَهَا؛ فَإِنَّمَا كَانَ لِي مِنْهَا الْفِكْرَةُ وَالتَّوْجِيهُ فَقَطْ، وَأَمَّا الْمُخْرَجَاتُ فَلِلذَّكَاءِ الِاصْطِنَاعِيِّ، وَمِنْ ذٰلِكَ صِيَاغَةُ هٰذَا التَّمْهِيدِ نَفْسِهِ. فَإِنْ أَحْسَنَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فِي تَقْرِيبِ النَّحْوِ، وَجَمْعِ أَطْرَافِهِ، وَتَحْبِيبِهِ إِلَى مَنْ يَهَابُهُ، فَفَضْلُ العَمَلِ فِي ذٰلِكَ لِلْأَدَاةِ الَّتِي أَعَانَتْ، ثُمَّ لِلتَّوْجِيهِ الَّذِي صَرَفَهَا إِلَى الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ، وَذٰلِكَ أَقْرَبُ إِلَى الْإِنْصَافِ، وَأَبْعَدُ مِنْ دَعْوَى مَا لَيْسَ لِي فِيهِ.

حَازِم خَنْفر

٨/ ١٠/ ١٤٤٧هـ

٢٧/ ٣/ ٢٠٢٦م

الرِّسَالَةُ

هٰذِهِ رِسَالَةٌ فِي النَّحْوِ، وَلٰكِنَّهَا لَا تَبْدَأُ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَبْوَابِ وَحْدَهَا، وَلَا مِنَ الْحَدِّ الْجَافِّ الَّذِي يُلْقَى عَلَى الطَّالِبِ، بَلْ تَبْدَأُ مِنَ الْكَلَامِ نَفْسِهِ حِينَ يَخْرُجُ مِنَ النَّفْسِ لِيُؤَدِّيَ مَعْنًى.

فَالْمُتَكَلِّمُ لَا يَتَكَلَّمُ لِأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِمَفْعُولٍ مُطْلَقٍ، أَوْ بِحَالٍ، أَوْ بِتَمْيِيزٍ، وَلٰكِنَّهُ يَتَكَلَّمُ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَكْفِهِ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ زَادَ فِي كَلَامِهِ مَا يُتِمُّ الْبَيَانَ. فَمَرَّةً يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: لِمَ وَقَعَ الْفِعْلُ؟ وَمَرَّةً يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: مَتَى وَقَعَ؟ وَمَرَّةً يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: أَيْنَ وَقَعَ؟ وَمَرَّةً يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَقُولَ: عَلَى أَيِّ حَالٍ وَقَعَ؟ وَمَرَّةً يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُؤَكِّدَ، أَوْ يَسْتَثْنِيَ، أَوْ يَنْفِيَ، أَوْ يَسْأَلَ.

فَأَبْوَابُ النَّحْوِ كُلُّهَا فِي أَصْلِهَا طُرُقُ بَيَانٍ. وَالطَّالِبُ إِذَا فَهِمَ الْبَابَ مِنْ مَعْنَاهُ، ثَبَتَ فِي عَقْلِهِ. وَإِذَا حَفِظَ اسْمَهُ وَلَمْ يَفْهَمْ مَعْنَاهُ، سَرِيعًا مَا يَضِيعُ مِنْهُ.

وَقَدْ بُنِيَتْ هٰذِهِ الرِّسَالَةُ عَلَى جُمْلَتَيْنِ: «شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ»، وَ«الطَّالِبُ حَاضِرٌ». ثُمَّ أُلْحِقَ بِذٰلِكَ مُلْحَقٌ فِيمَا يَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الطَّلَبِ وَالتَّنْبِيهِ، وَهُوَ النِّدَاءُ.

الْجُمْلَةُ الْأُولَى تُرِينَا مَشْهَدًا فِيهِ فِعْلٌ يَقَعُ، وَفِيهِ مَنْ فَعَلَهُ، وَفِيهِ شَيْءٌ وَقَعَ عَلَيْهِ. وَالْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ تُرِينَا مَشْهَدًا فِيهِ شَخْصٌ نَتَكَلَّمُ عَنْهُ، ثُمَّ خَبَرٌ نُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ. ثُمَّ يَبْدَأُ الْكَلَامُ بَعْدَ ذٰلِكَ يَتَّسِعُ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى قَدْرِ حَاجَتِنَا إِلَى الْبَيَانِ.

فَأَصْلُ الْمَشْهَدِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى:

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ. هٰذِهِ جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا بَدَأَتْ بِفِعْلٍ، وَهُوَ «شَرَحَ». وَمَعْنَى «شَرَحَ» أَنَّ بَيَانًا وَتَوْضِيحًا قَدْ وَقَعَ. ثُمَّ جِئْنَا بِالْفَاعِلِ الَّذِي وَقَعَ مِنْهُ هٰذَا الشَّرْحُ، وَهُوَ «الْمُعَلِّمُ»، فَهُوَ الشَّارِحُ. ثُمَّ جِئْنَا بِالشَّيْءِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الشَّرْحُ، وَهُوَ «الدَّرْسَ»، فَهُوَ الْمَشْرُوحُ. فَالْمَشْهَدُ هُنَا سَهْلٌ وَوَاضِحٌ: مُعَلِّمٌ يَشْرَحُ، وَدَرْسٌ يُشْرَحُ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الدَّرْسَ» مَفْعُولًا بِهِ؛ لِأَنَّهُ الشَّيْءُ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ بِهِ هُنَا هُوَ «الدَّرْسَ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ شَرْحًا وَاضِحًا. هُنَا لَمْ نَخْرُجْ عَنْ مَعْنَى الْفِعْلِ نَفْسِهِ، بَلْ عُدْنَا إِلَيْهِ. فَالْفِعْلُ «شَرَحَ» فِيهِ مَعْنَى الشَّرْحِ، ثُمَّ جَاءَتْ كَلِمَةُ «شَرْحًا» فَذَكَرَتْ نَفْسَ هٰذَا الْمَعْنَى مَرَّةً أُخْرَى؛

لِتُؤَكِّدَهُ أَوْ تُبَيِّنَ نَوْعَهُ. وَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ: إِنَّ الَّذِي وَقَعَ مِنَ الْمُعَلِّمِ هُوَ الشَّرْحُ نَفْسُهُ، وَهٰذَا الشَّرْحُ كَانَ وَاضِحًا. فَالْكَلَامُ هُنَا لَمْ يَزِدْ سَبَبًا، وَلَا زَمَانًا، وَلَا مَكَانًا، بَلْ زَادَ بَيَانًا لِنَفْسِ الْفِعْلِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «شَرْحًا» مَفْعُولًا مُطْلَقًا؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ لَفْظِ الْفِعْلِ نَفْسِهِ، جَاءَ لِيُؤَكِّدَهُ أَوْ يُبَيِّنَهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ هُنَا هُوَ «شَرْحًا».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ تَيْسِيرًا لِلْفَهْمِ. هُنَا لَمْ يَعُدِ الْمُتَكَلِّمُ يَتَكَلَّمُ عَلَى نَفْسِ الشَّرْحِ كَمَا فِي «شَرْحًا»، بَلْ انْتَقَلَ إِلَى السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ شَرَحَ الْمُعَلِّمُ. فَكَأَنَّ سَائِلًا سَأَلَ: لِمَ شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ؟ فَكَانَ الْجَوَابُ: شَرَحَهُ تَيْسِيرًا لِلْفَهْمِ، أَيْ لِأَجْلِ أَنْ يَسْهُلَ فَهْمُهُ عَلَى الطُّلَّابِ. فَالْمَعْنَى هُنَا مَعْنَى الْعِلَّةِ وَالْغَرَضِ، لَا مَعْنَى نَفْسِ الْفِعْلِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «تَيْسِيرًا» مَفْعُولًا لِأَجْلِهِ؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ سَبَبَ الْفِعْلِ وَالْغَرَضَ مِنْهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ لِأَجْلِهِ هُنَا هُوَ «تَيْسِيرًا».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ صَبَاحًا. هُنَا بَقِيَ الْمَشْهَدُ هُوَ هُوَ: مُعَلِّمٌ يَشْرَحُ دَرْسًا. وَلٰكِنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يَكْتَفِ بِذِكْرِ وُقُوعِ الشَّرْحِ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَنَا وَقْتَ وُقُوعِهِ. فَلَمَّا قَالَ: «صَبَاحًا» عَرَفْنَا أَنَّ الشَّرْحَ لَمْ يَقَعْ فِي أَيِّ وَقْتٍ، بَلْ وَقَعَ فِي الصَّبَاحِ. فَهٰذِهِ الزِّيَادَةُ لَمْ تُبَيِّنْ سَبَبَ الْفِعْلِ، وَلَا نَوْعَهُ، بَلْ بَيَّنَتْ زَمَانَهُ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «صَبَاحًا» ظَرْفَ زَمَانٍ، أَوْ مَفْعُولًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ زَمَانَ وُقُوعِ الْفِعْلِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ ظَرْفُ الزَّمَانِ هُنَا هُوَ «صَبَاحًا».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ أَمَامَ الطُّلَّابِ. هُنَا لَمْ نُبَيِّنِ الزَّمَانَ، بَلْ بَيَّنَّا الْمَكَانَ. فَالسَّامِعُ قَدْ يَعْرِفُ أَنَّ الْمُعَلِّمَ شَرَحَ، وَلٰكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ أَيْنَ وَقَعَ هٰذَا الشَّرْحُ. فَلَمَّا قُلْنَا: «أَمَامَ الطُّلَّابِ» تَصَوَّرَ السَّامِعُ مَوْضِعَ الْمَشْهَدِ، وَرَأَى الْمُعَلِّمَ وَهُوَ يَقِفُ أَمَامَ طُلَّابِهِ يَشْرَحُ لَهُمْ. فَالْكَلَامُ هُنَا زَادَ مَعْنًى مَكَانِيًّا.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «أَمَامَ» ظَرْفَ مَكَانٍ، أَوْ مَفْعُولًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ مَكَانَ وُقُوعِ الْفِعْلِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ ظَرْفُ الْمَكَانِ هُنَا هُوَ «أَمَامَ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ فِي الصَّفِّ. هُنَا أَيْضًا زَادَ الْكَلَامُ بَيَانًا لِلْمَكَانِ، وَلٰكِنْ لَيْسَ بِاسْمٍ مِثْلَ «أَمَامَ»، بَلْ بِجَارٍّ وَمَجْرُورٍ. فَالْمُتَكَلِّمُ أَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَنَا أَنَّ الشَّرْحَ لَمْ يَقَعْ فِي السَّاحَةِ، وَلَا فِي الْبَيْتِ، بَلْ وَقَعَ فِي الصَّفِّ. وَهُنَا يَتَعَلَّمُ الطَّالِبُ أَنَّ الْمَكَانَ قَدْ يُبَيَّنُ مَرَّةً بِظَرْفِ مَكَانٍ صَرِيحٍ، وَمَرَّةً بِجَارٍّ وَمَجْرُورٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «فِي الصَّفِّ» جَارًّا وَمَجْرُورًا مُتَعَلِّقَيْنِ بِالْفِعْلِ «شَرَحَ». فَالتَّرْكِيبُ الَّذِي فِيهِ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ هُنَا هُوَ «فِي الصَّفِّ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ مُسْتَعِينًا بِالأَمْثِلَةِ. هُنَا لَا نَتَكَلَّمُ عَلَى زَمَانِ الشَّرْحِ، وَلَا عَلَى مَكَانِهِ، وَلَا عَلَى سَبَبِهِ، بَلْ نَتَكَلَّمُ عَلَى هَيْئَةِ الْمُعَلِّمِ عِنْدَ الشَّرْحِ. فَالْمُعَلِّمُ لَمْ يَشْرَحْ كَيْفَمَا اتَّفَقَ، بَلْ شَرَحَ وَهُوَ يَسْتَعِينُ بِالأَمْثِلَةِ. فَنَحْنُ هُنَا نَرَى صُورَةَ الْفِعْلِ وَكَيْفِيَّةَ وُقُوعِهِ، لَا زَمَانَهُ وَلَا مَكَانَهُ وَلَا عِلَّتَهُ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «مُسْتَعِينًا» حَالًا؛ لِأَنَّهَا بَيَّنَتْ هَيْئَةَ الْمُعَلِّمِ عِنْدَ وُقُوعِ الْفِعْلِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْحَالُ هُنَا هُوَ «مُسْتَعِينًا».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ الصَّعْبَ. هُنَا لَمْ نَزِدْ فِي الْكَلَامِ مَا يَرْجِعُ إِلَى الْفِعْلِ، بَلْ زِدْنَا وَصْفًا لِلاسْمِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ. فَالْمُرَادُ لَيْسَ أَيَّ دَرْسٍ، بَلِ الدَّرْسُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِالصُّعُوبَةِ. فَقَدْ صَارَ «الدَّرْسُ» أَوْضَحَ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى. فَالزِّيَادَةُ هُنَا زِيَادَةُ وَصْفٍ لِلاسْمِ، لَا زِيَادَةُ بَيَانٍ لِلْفِعْلِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الصَّعْبَ» نَعْتًا؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ الاسْمَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ «الدَّرْسَ». فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ النَّعْتُ هُنَا هُوَ «الصَّعْبَ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ كُلَّهُ. هُنَا لَا نُضِيفُ مَعْلُومَةً جَدِيدَةً عَنِ الزَّمَانِ، وَلَا الْمَكَانِ، وَلَا السَّبَبِ، وَلَا الْوَصْفِ، بَلْ نُثَبِّتُ الْمَعْنَى وَنَدْفَعُ عَنْهُ الاحْتِمَالَ. فَكَأَنَّ السَّامِعَ قَدْ يَظُنُّ أَنَّ الْمُعَلِّمَ شَرَحَ بَعْضَ الدَّرْسِ فَقَطْ، فَجَاءَ قَوْلُنَا: «كُلَّهُ» لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الشَّرْحَ شَمِلَ الدَّرْسَ جَمِيعَهُ. فَالْمَعْنَى هُنَا مَعْنَى التَّثْبِيتِ وَالتَّقْوِيَةِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «كُلَّ» تَوْكِيدًا؛ لِأَنَّهُ أَكَّدَ الْمَعْنَى وَثَبَّتَهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ التَّوْكِيدُ هُنَا هُوَ «كُلَّ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالتَّمْرِينَ. هُنَا كَانَ الْفِعْلُ فِي الْأَصْلِ وَاقِعًا عَلَى «الدَّرْسِ»، ثُمَّ ضُمَّ إِلَيْهِ اسْمٌ آخَرُ، وَهُوَ «التَّمْرِينَ». فَصَارَ الْمَعْنَى: أَنَّ الْمُعَلِّمَ لَمْ يَشْرَحِ الدَّرْسَ وَحْدَهُ، بَلْ شَرَحَ الدَّرْسَ وَشَرَحَ التَّمْرِينَ أَيْضًا. فَالْكَلَامُ هُنَا اتَّسَعَ بِإِدْخَالِ شَيْءٍ آخَرَ فِي الْحُكْمِ نَفْسِهِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «التَّمْرِينَ» مَعْطُوفًا؛ لِأَنَّهُ عُطِفَ عَلَى «الدَّرْسَ» بِالْوَاوِ،

وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي الْحُكْمِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَعْطُوفُ هُنَا هُوَ «التَّمْرِينَ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ نِصْفَهُ. هُنَا وَقَعَ الشَّرْحُ عَلَى «الدَّرْسِ»، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى جُزْءٍ مِنْهُ، وَهُوَ «نِصْفَهُ». فَالْمُتَكَلِّمُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَدَعَ الْمَعْنَى عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الدَّرْسِ هُنَا جُزْءٌ مِنْهُ، لَا جَمِيعُهُ. فَكَأَنَّ السَّامِعَ قَدْ يَفْهَمُ مِنْ قَوْلِنَا: «شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ» أَنَّ الشَّرْحَ وَقَعَ عَلَى كُلِّ الدَّرْسِ، ثُمَّ جَاءَ قَوْلُنَا: «نِصْفَهُ» فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ جُزْءٌ مِنْ هٰذَا الدَّرْسِ، وَهُوَ نِصْفُهُ. فَاللَّفْظُ الثَّانِي جَاءَ لِيُعَيِّنَ أَنَّ الْمُرَادَ بَعْضُ الْأَوَّلِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «نِصْفَهُ» بَدَلًا، وَهُوَ بَدَلُ بَعْضٍ مِنْ كُلٍّ؛ لِأَنَّهُ دَلَّ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الِاسْمِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ «الدَّرْسَ»، وَاتَّصَلَ بِهِ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْمُبْدَلِ مِنْهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْبَدَلُ هُنَا هُوَ «نِصْفَ».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ إِلَّا خَاتِمَتَهُ. هُنَا ذُكِرَ الدَّرْسُ أَوَّلًا عَلَى وَجْهٍ يَدُلُّ عَلَى الشُّمُولِ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ مَا يُخْرِجُ جُزْءًا مِنْ هٰذَا الْحُكْمِ، وَهُوَ «خَاتِمَتَهُ». فَالْمَعْنَى أَنَّ الْمُعَلِّمَ شَرَحَ الدَّرْسَ، وَلٰكِنَّ هُنَاكَ جُزْءًا مِنْهُ لَمْ يَدْخُلْ فِي الشَّرْحِ، وَهُوَ الْخَاتِمَةُ. فَكَأَنَّ السَّامِعَ يَفْهَمُ أَنَّ الشَّرْحَ وَقَعَ عَلَى الدَّرْسِ كُلِّهِ، ثُمَّ جَاءَتْ «إِلَّا» فَأَخْرَجَتْ مِنْ هٰذَا الْعُمُومِ شَيْئًا وَاحِدًا. فَالْكَلَامُ هُنَا بُنِيَ عَلَى أَنْ يُثْبِتَ الْحُكْمَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُخْرِجَ مِنْهُ بَعْضًا.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «خَاتِمَةَ» مُسْتَثْنًى؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ أَدَاةِ الِاسْتِثْنَاءِ، وَهِيَ «إِلَّا»، خَارِجًا مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي ثَبَتَ لِمَا قَبْلَهَا. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمُسْتَثْنَى هُنَا هُوَ «خَاتِمَتَهُ».

ازْدَادَ شَرْحُ الْمُعَلِّمِ لِلدَّرْسِ وُضُوحًا. هُنَا مَا زِلْنَا فِي عَالَمِ الشَّرْحِ وَالْمُعَلِّمِ، وَلٰكِنَّ الْكَلَامَ لَمْ يَعُدْ عَنْ أَصْلِ وُقُوعِ الشَّرْحِ، بَلْ صَارَ عَنْ زِيَادَةِ شَيْءٍ فِيهِ. فَلَوْ قُلْنَا: «ازْدَادَ شَرْحُ الْمُعَلِّمِ لِلدَّرْسِ» لَمْ يَتِمَّ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ السَّامِعَ يَقُولُ: ازْدَادَ مَاذَا؟ فَلَمَّا قُلْنَا: «وُضُوحًا» عُرِفَتِ الْجِهَةُ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ، وَزَالَ الْغُمُوضُ. فَالْكَلَامُ هُنَا لَا يَصِفُ اسْمًا، وَلَا يُؤَكِّدُ مَعْنًى سَابِقًا، بَلْ يُزِيلُ إِبْهَامًا بَقِيَ فِي الْجُمْلَةِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «وُضُوحًا» تَمْيِيزًا؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ الْجِهَةَ الَّتِي فِيهَا الزِّيَادَةُ، وَأَزَالَ الْإِبْهَامَ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ التَّمْيِيزُ هُنَا هُوَ «وُضُوحًا».

شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ وَطُلُوعَ الشَّمْسِ. هُنَا مَا زِلْنَا فِي حَدِيثِنَا عَنْ مُعَلِّمٍ يَشْرَحُ دَرْسًا. وَلٰكِنَّ

الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا آخَرَ وَقَعَ عَلَيْهِ الشَّرْحُ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ شَيْئًا وَقَعَ مَعَ الشَّرْحِ وَصَاحَبَهُ. فَلَيْسَ «طُلُوعَ الشَّمْسِ» شَيْئًا شَرَحَهُ الْمُعَلِّمُ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ جَاءَ مَعَ وُقُوعِ الشَّرْحِ وَقَارَنَهُ. فَالْمَعْنَى هُنَا لَيْسَ مَعْنَى الْمَفْعُولِ بِهِ، وَلَا مَعْنَى الْحَالِ، وَلَا مَعْنَى الظَّرْفِ، بَلْ مَعْنَاهُ أَنَّ أَمْرًا آخَرَ صَاحَبَ الْفِعْلَ وَوَاقَعَهُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «طُلُوعَ» مَفْعُولًا مَعَهُ؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ وَاوِ الْمَعِيَّةِ، لِيَدُلَّ عَلَى الْمُصَاحَبَةِ. وَأَمَّا «الشَّمْسِ» فَمُضَافٌ إِلَيْهِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ مَعَهُ هُنَا هُوَ «طُلُوعَ».

وَأَصْلُ الْمَشْهَدِ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ:

الطَّالِبُ حَاضِرٌ. هٰذِهِ جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ؛ لِأَنَّهَا بَدَأَتْ بِاسْمٍ، وَهُوَ «الطَّالِبُ». وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يَبْدَأْ بِحَدَثٍ يَقَعُ، بَلْ بَدَأَ بِشَخْصٍ يُرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْهُ. فَقَدْ ذَكَرَ لَنَا أَوَّلًا «الطَّالِبُ»، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُ بِالْأَمْرِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِهِ عَنْهُ، وَهُوَ «حَاضِرٌ». فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: هٰذَا طَالِبٌ أَتَحَدَّثُ عَنْهُ، وَأُخْبِرُكَ أَنَّهُ حَاضِرٌ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الطَّالِبُ» مُبْتَدَأً؛ لِأَنَّهُ الاسْمُ الَّذِي ابْتَدَأْنَا بِهِ الْكَلَامَ، وَعَلَى تَسْمِيَةِ «حَاضِرٌ» خَبَرًا؛ لِأَنَّهُ الْأَمْرُ الَّذِي أَخْبَرْنَا بِهِ عَنِ الطَّالِبِ.

الطَّالِبُ الْمُجْتَهِدُ حَاضِرٌ. هُنَا بَقِيَ الْخَبَرُ هُوَ «حَاضِرٌ»، فَنَحْنُ مَا زِلْنَا نُخْبِرُ عَنِ الطَّالِبِ بِالْحُضُورِ، وَلٰكِنَّ الاسْمَ الْأَوَّلَ لَمْ يَعُدْ عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ وُصِفَ بِالاجْتِهَادِ. فَلَيْسَ الْمُرَادُ أَيَّ طَالِبٍ، بَلِ الطَّالِبُ الَّذِي يَتَّصِفُ بِالاجْتِهَادِ. فَالزِّيَادَةُ هُنَا لِتَوْضِيحِ الاسْمِ وَتَقْرِيبِهِ، لَا لِتَغْيِيرِ الْخَبَرِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الْمُجْتَهِدُ» نَعْتًا؛ لِأَنَّهُ وَصَفَ الاسْمَ الَّذِي قَبْلَهُ، وَهُوَ «الطَّالِبُ». فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ النَّعْتُ هُنَا هُوَ «الْمُجْتَهِدُ».

الطَّالِبُ نَفْسُهُ حَاضِرٌ. هُنَا لَمْ نَأْتِ بِوَصْفٍ جَدِيدٍ لِلطَّالِبِ، وَلَمْ نُغَيِّرِ الْخَبَرَ، بَلْ شَدَّدْنَا الْمَعْنَى وَثَبَّتْنَاهُ. فَكَأَنَّ أَحَدًا قَدْ يَظُنُّ أَنَّ الْحَاضِرَ غَيْرُ هٰذَا الطَّالِبِ، أَوْ يَظُنُّ أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ تَرَدُّدٌ، فَجَاءَ قَوْلُنَا: «نَفْسُهُ» لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ هٰذَا الطَّالِبُ بِعَيْنِهِ. فَالزِّيَادَةُ هُنَا زِيَادَةُ تَثْبِيتٍ لَا زِيَادَةُ وَصْفٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «نَفْسُ» تَوْكِيدًا؛ لِأَنَّهُ جَاءَ لِيُثَبِّتَ الْمَعْنَى وَيُقَوِّيَهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ التَّوْكِيدُ هُنَا هُوَ «نَفْسُ».

الطَّالِبُ وَالْمُعَلِّمُ حَاضِرَانِ. هُنَا لَمْ نَصِفِ الطَّالِبَ، وَلَمْ نُؤَكِّدْهُ، بَلْ أَدْخَلْنَا مَعَهُ اسْمًا آخَرَ فِي الْحُكْمِ نَفْسِهِ. فَفِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى كَانَ الْحُضُورُ ثَابِتًا لِلطَّالِبِ وَحْدَهُ، وَأَمَّا هُنَا فَقَدْ صَارَ الْحُضُورُ ثَابِتًا لِلطَّالِبِ وَلِلْمُعَلِّمِ مَعًا. وَلِهٰذَا تَغَيَّرَ الْخَبَرُ فَقُلْنَا: «حَاضِرَانِ»؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ لَمْ يَعُدْ لِوَاحِدٍ، بَلْ لِاثْنَيْنِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الْمُعَلِّمُ» مَعْطُوفًا؛ لِأَنَّهُ عُطِفَ عَلَى «الطَّالِبُ» بِالْوَاوِ، وَاشْتَرَكَ مَعَهُ فِي الْحُكْمِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَعْطُوفُ هُنَا هُوَ «الْمُعَلِّمُ».

الطَّالِبُ مُحَمَّدٌ حَاضِرٌ. هُنَا بَدَأْنَا بِـ«الطَّالِبُ»، وَلٰكِنَّ هٰذَا اللَّفْظَ قَدْ لَا يُعَيِّنُ الْمَرَادَ تَعْيِينًا كَامِلًا، فَجَاءَ بَعْدَهُ «مُحَمَّدٌ»؛ لِيُفَسِّرَ مَنْ هُوَ هٰذَا الطَّالِبُ. فَكَأَنَّ السَّامِعَ قَدْ يَسْأَلُ: أَيُّ طَالِبٍ؟ فَيَكُونُ الْجَوَابُ: مُحَمَّدٌ. فَالثَّانِي هُنَا جَاءَ لِلتَّعْيِينِ، لَا لِإِنْشَاءِ خَبَرٍ جَدِيدٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «مُحَمَّدٌ» بَدَلًا. وَفِي التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ يَكْفِي أَنْ يَعْلَمَ الطَّالِبُ أَنَّهُ لَفْظٌ جَاءَ لِيَقُومَ مَقَامَ مَا قَبْلَهُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْبَدَلُ هُنَا هُوَ «مُحَمَّدٌ».

الطَّالِبُ حَاضِرٌ جَالِسًا أَمَامَ الْمُعَلِّمِ. هُنَا بَقِيَ الْخَبَرُ هُوَ «حَاضِرٌ»، فَالْحُضُورُ هُوَ الْأَمْرُ الْأَصْلِيُّ. وَلٰكِنَّ الْمُتَكَلِّمَ أَرَادَ أَنْ يَرْسُمَ لَنَا صُورَةَ الطَّالِبِ عِنْدَ حُضُورِهِ، فَقَالَ: «جَالِسًا أَمَامَ الْمُعَلِّمِ». فَصَارَ السَّامِعُ لَا يَعْرِفُ أَنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ فَقَطْ، بَلْ يَرَاهُ فِي هَيْئَةٍ مُعَيَّنَةٍ. وَهُنَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْهَمَ الطَّالِبُ أَنَّ هٰذِهِ الْهَيْئَةَ لَيْسَتْ وَصْفًا ثَابِتًا لِلطَّالِبِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، بَلْ هِيَ صُورَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ عِنْدَ ثُبُوتِ الْخَبَرِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «جَالِسًا» حَالًا؛ لِأَنَّهَا بَيَّنَتْ هَيْئَةَ الطَّالِبِ عِنْدَ ثُبُوتِ الْخَبَرِ لَهُ وَارْتَبَطَتْ بِالْخَبَرِ فِي الْمَعْنَى. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْحَالُ هُنَا هُوَ «جَالِسًا».

الطَّالِبُ حَاضِرٌ الْيَوْمَ. هُنَا لَمْ نُغَيِّرِ الشَّخْصَ الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ، وَلَا الْخَبَرَ الَّذِي نُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ، بَلْ زِدْنَا فِي الْكَلَامِ مَا يُبَيِّنُ زَمَانَ الْحُضُورِ. فَقَوْلُنَا: «الطَّالِبُ حَاضِرٌ» قَدْ يَصْلُحُ فِي أَيِّ وَقْتٍ، وَلٰكِنَّ قَوْلَنَا: «الْيَوْمَ» يُعَيِّنُ الْوَقْتَ الَّذِي نُخْبِرُ فِيهِ بِالْحُضُورِ. فَصَارَتِ الْجُمْلَةُ أَوْضَحَ وَأَدَقَّ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «الْيَوْمَ» ظَرْفَ زَمَانٍ، أَوْ مَفْعُولًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ زَمَانَ الحَدَثِ الْمُتَضَمَّنِ فِي الْخَبَرِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ ظَرْفُ الزَّمَانِ هُنَا هُوَ «الْيَوْمَ».

الطَّالِبُ حَاضِرٌ أَمَامَ الصَّفِّ. هُنَا أَرَادَ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يُبَيِّنَ مَكَانَ الْحُضُورِ، لَا زَمَانَهُ. فَهُوَ لَا يَكْتَفِي بِأَنْ يَقُولَ: إِنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ، بَلْ يَدُلُّنَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي هُوَ فِيهِ. فَلَمَّا قَالَ: «أَمَامَ الصَّفِّ» تَصَوَّرَ

السَّامِعُ لِلطَّالِبِ مَكَانًا وَاضِحًا. وَهُنَا اخْتَرْنَا لَفْظًا مَكَانِيًّا صَرِيحًا؛ لِيَكُونَ الْبَابُ أَوْضَحَ لِلطَّالِبِ الْمُبْتَدِئِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «أَمَامَ» ظَرْفَ مَكَانٍ، أَوْ مَفْعُولًا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ مَكَانَ الْخَبَرِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ ظَرْفُ الْمَكَانِ هُنَا هُوَ «أَمَامَ».

الطَّالِبُ حَاضِرٌ فِي الصَّفِّ. هُنَا أَيْضًا بُيِّنَ مَكَانُ الْحُضُورِ، وَلٰكِنْ لَيْسَ بِظَرْفِ مَكَانٍ صَرِيحٍ، بَلْ بِجَارٍّ وَمَجْرُورٍ. فَالْمُتَكَلِّمُ يُخْبِرُنَا أَنَّ الطَّالِبَ لَيْسَ حَاضِرًا فِي أَيِّ مَوْضِعٍ، بَلْ هُوَ حَاضِرٌ فِي الصَّفِّ خَاصَّةً. وَهٰذَا يُفِيدُ الطَّالِبَ أَنَّ الْمَعْنَى الْمَكَانِيَّ قَدْ يَأْتِي مَرَّةً بِظَرْفٍ صَرِيحٍ، وَمَرَّةً بِجَارٍّ وَمَجْرُورٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «فِي الصَّفِّ» جَارًّا وَمَجْرُورًا مُتَعَلِّقَيْنِ بِالْخَبَرِ. فَاللَّفْظُ الَّذِي فِيهِ الْجَارُّ وَالْمَجْرُورُ هُنَا هُوَ «فِي الصَّفِّ».

الطَّالِبُ أَكْثَرُ حُضُورًا. هُنَا لَمْ نَعُدْ نُخْبِرُ مُجَرَّدَ خَبَرٍ، بَلْ دَخَلْنَا فِي بَابِ الْمُقَارَنَةِ. فَالْمُتَكَلِّمُ لَا يَقُولُ فَقَطْ: إِنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ، بَلْ يَقُولُ: إِنَّهُ أَكْثَرُ حُضُورًا. وَلٰكِنَّ كَلِمَةَ «أَكْثَرُ» وَحْدَهَا لَا تُتِمُّ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ السَّامِعَ سَيَقُولُ: أَكْثَرُ مَاذَا؟ فَلَمَّا قُلْنَا: «حُضُورًا» عُرِفَتِ الْجِهَةُ الَّتِي فِيهَا الْأَكْثَرِيَّةُ. فَهُنَا لَا نُضِيفُ وَصْفًا لِلِاسْمِ، وَلَا نُؤَكِّدُهُ، بَلْ نُزِيلُ إِبْهَامًا بَقِيَ فِي الْمَعْنَى.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «حُضُورًا» تَمْيِيزًا؛ لِأَنَّهُ بَيَّنَ جِهَةَ الْأَكْثَرِيَّةِ وَأَزَالَ الْإِبْهَامَ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ التَّمْيِيزُ هُنَا هُوَ «حُضُورًا».

الطَّالِبُ حَاضِرٌ إِلَّا قَلْبَهُ. هُنَا أَثْبَتَ الْمُتَكَلِّمُ الْحُضُورَ لِلطَّالِبِ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِمَا يُخْرِجُ شَيْئًا مِنْ هٰذَا الْمَعْنَى، وَهُوَ «قَلْبَهُ». فَالْمُرَادُ أَنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ فِي ظَاهِرِهِ، وَلٰكِنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ مُقْبِلًا وَلَا مُشَارِكًا فِي هٰذَا الْحُضُورِ. فَالْكَلَامُ لَا يَقِفُ عِنْدَ إِثْبَاتِ الْحُضُورِ فَقَطْ، بَلْ يَمْضِي بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى إِخْرَاجِ مَا لَمْ يَدْخُلْ فِي هٰذَا الْمَعْنَى. فَكَأَنَّ السَّامِعَ فَهِمَ مِنْ أَوَّلِ الْجُمْلَةِ أَنَّ الْحُضُورَ تَامٌّ، ثُمَّ جَاءَتْ «إِلَّا» فَبَيَّنَتْ أَنَّ فِي الْأَمْرِ شَيْئًا لَمْ يَشْمَلْهُ هٰذَا الْحُكْمُ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «قَلْبَ» مُسْتَثْنًى؛ لِأَنَّهُ جَاءَ بَعْدَ «إِلَّا» خَارِجًا مِنَ الْحُكْمِ الَّذِي ثَبَتَ قَبْلَهَا. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمُسْتَثْنَى هُنَا هُوَ «قَلْبَهُ».

كَانَ الطَّالِبُ حَاضِرًا. هُنَا لَمْ نُرِدْ مُجَرَّدَ الْإِخْبَارِ بِالْحُضُورِ عَلَى صُورَتِهِ الْأُولَى، بَلْ أَرَدْنَا أَنْ

نُدْخِلَ هٰذَا الْخَبَرَ فِي بَابٍ يَدُلُّ عَلَى الزَّمَنِ. فَقَوْلُنَا: «الطَّالِبُ حَاضِرٌ» خَبَرٌ مُبَاشِرٌ، وَأَمَّا قَوْلُنَا: «كَانَ الطَّالِبُ حَاضِرًا» فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ هٰذَا الْحُضُورَ دَخَلَ فِي زَمَنٍ تُؤَدِّيهِ «كَانَ». فَلَمْ يَضِعِ الْمَشْهَدُ الْأَصْلِيُّ، وَلٰكِنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى صُورَةٍ جَدِيدَةٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «كَانَ» وَأَخَوَاتِهَا أَفْعَالًا نَاسِخَةً، وَعَلَى تَسْمِيَةِ «الطَّالِبُ» اسْمَ كَانَ، وَ«حَاضِرًا» خَبَرَ كَانَ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ اسْمُ كَانَ هُنَا هُوَ «الطَّالِبُ»، وَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ خَبَرُهَا هُوَ «حَاضِرًا».

إِنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ. هُنَا لَا نُدْخِلُ الْخَبَرَ فِي الزَّمَنِ، كَمَا فَعَلَتْ «كَانَ»، بَلْ نُقَوِّي الْكَلَامَ وَنُثَبِّتُهُ. فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ: أُؤَكِّدُ لَكَ أَنَّ الطَّالِبَ حَاضِرٌ. فَالزِّيَادَةُ هُنَا لَيْسَتْ زِيَادَةَ خَبَرٍ جَدِيدٍ، بَلْ زِيَادَةَ قُوَّةٍ فِي نَفْسِ الْخَبَرِ. وَمِنْ هُنَا يَفْهَمُ الطَّالِبُ أَنَّ «إِنَّ» لَيْسَتْ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ تَنْصِبُ، بَلْ هِيَ كَلِمَةٌ تُؤَكِّدُ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ حُكْمُهَا فِي الْإِعْرَابِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «إِنَّ» وَأَخَوَاتِهَا حُرُوفًا نَاسِخَةً، وَعَلَى تَسْمِيَةِ «الطَّالِبَ» اسْمَ إِنَّ، وَ«حَاضِرٌ» خَبَرَ إِنَّ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ اسْمُ إِنَّ هُنَا هُوَ «الطَّالِبَ»، وَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ خَبَرُهَا هُوَ «حَاضِرٌ».

ظَنَنْتُ الطَّالِبَ حَاضِرًا. هُنَا خَرَجَ الْكَلَامُ مِنْ مُجَرَّدِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَاقِعِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَمَّا فِي النَّفْسِ. فَالْمُتَكَلِّمُ لَا يَقُولُ: «الطَّالِبُ حَاضِرٌ» عَلَى وَجْهِ الْجَزْمِ، بَلْ يَقُولُ: «ظَنَنْتُ الطَّالِبَ حَاضِرًا»، أَيْ: وَقَعَ فِي ظَنِّي أَنَّهُ حَاضِرٌ. فَالْجُمْلَةُ الْأَصْلِيَّةُ «الطَّالِبُ حَاضِرٌ» مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً فِي الْمَعْنَى، وَلٰكِنَّهَا دَخَلَتْ تَحْتَ فِعْلٍ يَدُلُّ عَلَى الظَّنِّ، فَتَغَيَّرَتْ صُورَتُهَا.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «ظَنَّ» وَأَخَوَاتِهَا أَفْعَالًا تَنْصِبُ مَفْعُولَيْنِ أَصْلُهُمَا الْمُبْتَدَأُ وَالْخَبَرُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ هُنَا هُوَ «الطَّالِبَ»، وَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي هُوَ «حَاضِرًا».

لَا طَالِبَ حَاضِرٌ. هُنَا لَا نَنْفِي الْحُضُورَ عَنْ شَخْصٍ مُعَيَّنٍ، بَلْ نَنْفِي أَنْ يَكُونَ فِي الْمَوْضِعِ أَيُّ طَالِبٍ مُتَّصِفٍ بِالْحُضُورِ. فَالْمَعْنَى أَعَمُّ وَأَقْوَى. وَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ: لَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ مِنْ جِنْسِ الطُّلَّابِ حَاضِرًا. فَهٰذَا نَفْيٌ لِلْجِنْسِ عَلَى وَجْهِ الشُّمُولِ، لَا نَفْيٌ لِفَرْدٍ مُعَيَّنٍ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «لا» هُنَا لَا النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ، وَعَلَى تَسْمِيَةِ «طَالِبَ» اسْمَهَا، وَ«حَاضِرٌ» خَبَرَهَا. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ اسْمُهَا هُنَا هُوَ «طَالِبَ»، وَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ خَبَرُهَا هُوَ «حَاضِرٌ».

وَأَمَّا الْمُلْحَقُ الَّذِي أُلْحِقَ بِهٰذِهِ الرِّسَالَةِ، فَهُوَ فِيمَا لَا يَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الْإِخْبَارِ، بَلْ يَجْرِي عَلَى طَرِيقِ الطَّلَبِ وَالتَّنْبِيهِ.

فَالْمُتَكَلِّمُ قَدْ لَا يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ وَاقِعٍ، وَلَا أَنْ يُثْبِتَ حُكْمًا لِشَيْءٍ، بَلْ يُرِيدُ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى مُخَاطَبِهِ، فَيُنَبِّهَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ يُلْقِيَ إِلَيْهِ مَا يُرِيدُ مِنْ طَلَبٍ أَوْ أَمْرٍ. فَالْكَلَامُ هُنَا لَا يَبْدَأُ بِحَدَثٍ يُخْبَرُ عَنْهُ، وَلَا بِاسْمٍ يُثْبَتُ لَهُ خَبَرٌ، بَلْ يَبْدَأُ بِالْتِفَاتٍ إِلَى الْمُخَاطَبِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ أَوَّلًا أَنْ يَلْتَفِتَ وَيَسْمَعَ، ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ الطَّلَبُ.

وَأَصْلُ الْمَشْهَدِ فِي هٰذَا الْمُلْحَقِ:

يَا مُعَلِّمُ، اشْرَحِ الدَّرْسَ. هُنَا لَمْ يَبْدَأِ الْمُتَكَلِّمُ بِقَوْلِهِ: «شَرَحَ الْمُعَلِّمُ الدَّرْسَ»، لِأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَ عَنْ شَيْءٍ وَقَعَ، بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ شَيْئًا لَمْ يَقَعْ بَعْدُ. فَجَاءَ أَوَّلًا بِقَوْلِهِ: «يَا مُعَلِّمُ»؛ لِيُقْبِلَ الْمُعَلِّمُ عَلَيْهِ وَيَنْتَبِهَ لِكَلَامِهِ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِالطَّلَبِ، فَقَالَ: «اشْرَحِ الدَّرْسَ». فَكَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَقُولُ: أُوَجِّهُ كَلَامِي إِلَيْكَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تَشْرَحَ الدَّرْسَ. فَالْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكَلَامِ لِلتَّنْبِيهِ وَالِاسْتِدْعَاءِ، وَالْقِسْمُ الثَّانِي لِلطَّلَبِ وَالْأَمْرِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «يَا» أَدَاةَ نِدَاءٍ؛ لِأَنَّهَا وَسِيلَةُ الْمُتَكَلِّمِ إِلَى تَنْبِيهِ الْمُنَادَى وَدَعْوَتِهِ، وَعَلَى تَسْمِيَةِ «مُعَلِّمُ» مُنَادًى؛ لِأَنَّهُ الِاسْمُ الَّذِي وُجِّهَ إِلَيْهِ النِّدَاءُ. فَاللَّفْظُ الَّذِي هُوَ الْمُنَادَى هُنَا هُوَ «مُعَلِّمُ».

يَا طَالِبُ، احْضُرِ الدَّرْسَ. هُنَا أَيْضًا لَا يُرِيدُ الْمُتَكَلِّمُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِأَنَّ الطَّالِبَ حَضَرَ، بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَدْعُوَهُ وَيَطْلُبَ مِنْهُ الْحُضُورَ. فَبَدَأَ بِقَوْلِهِ: «يَا طَالِبُ»؛ لِيُوَجِّهَ الْكَلَامَ إِلَى شَخْصٍ بِعَيْنِهِ، ثُمَّ أَتْبَعَ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: «احْضُرِ الدَّرْسَ». فَالْمَعْنَى لَيْسَ أَنَّ الْحُضُورَ وَقَعَ، بَلْ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ يَدْعُو إِلَى وُقُوعِهِ وَيَطْلُبُهُ. وَهٰذَا يُعَلِّمُ الطَّالِبَ أَنَّ النِّدَاءَ بَابٌ يُقْصَدُ بِهِ تَوْجِيهُ الْكَلَامِ إِلَى الْمُخَاطَبِ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَهُ مَا يُرَادُ مِنْ أَمْرٍ أَوْ نَهْيٍ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّلَبِ.

وَقَدِ اصْطَلَحَ النُّحَاةُ عَلَى تَسْمِيَةِ «طَالِبُ» مُنَادًى؛ لِأَنَّهُ الِاسْمُ الَّذِي وُجِّهَ إِلَيْهِ النِّدَاءُ. فَاللَّفْظُ

الَّذِي هُوَ الْمُنَادَى هُنَا هُوَ «طَالِبُ».

وَقَدْ لَا يُذْكَرُ الْمُنَادَى وَحْدَهُ، بَلْ يُذْكَرُ مَعَهُ مَا يُوَضِّحُهُ وَيُعَيِّنُهُ، نَحْوُ: «يَا مُعَلِّمَ النَّحْوِ، اشْرَحِ الدَّرْسَ»، وَ«يَا طَالِبَ الْعِلْمِ، احْضُرْ». وَهُنَا يَظْهَرُ أَنَّ لَفْظَ الْمُنَادَى لَا يَلْزَمُ وَجْهًا وَاحِدًا فِي كُلِّ صُوَرِهِ، بَلْ قَدْ يَتَغَيَّرُ آخِرُهُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ.

****